حكاية المعطف

رابندرانات طاغور

الفصل الثاني

«الوطنية»

محمود تيموري

تاجور في الحياة والاخلاق

والمدنية والسياسة والمرأة والادب والدين

— ٤ —

لمحمود المنجوري

والوطنية عند تاجور معنىً روحي سامٍ ، يلتمسه في غير ما يلتمسه القادة والزعماء من هياج وتدمير واحراق ، ولهذا أبى فيلسوفنا الكريم على الزعماء استهواء الجماهير في سبيل الوطن

« ان الذين يبذلون التضحيات في سبيل بلادهم يحق لهم أن يدعوا خدام الوطن ، واما من يكره الناس على التضحية لينال هو المجد فهو الخائن الآثم لوطنه ، لانه يكون قد اختلس حرية مواطنيه ليصعد الى القمة . . . ان الذي يريد تأليه وطنه بالهتاف والهياج انما يحب الهياج أكثر مما يحب وطنه ، ويكبر شهواته وأغراضنا أكثر مما يكبر دواعي الوطن الحقيقية . انا اذا وضعنا شهواتنا في مكان أرفع من الحقيقة كان ذلك دليلا ثابتاً على عبوديتنا »

ولقد سخر تاجور من زعماء الهند ومثّل بهم في روايته « البيت والعالم » على لسان « ساندیب » حين قال :

« لقد خلقت للسيادة ، ولتطيعني الجماهير ، فأقودها كما أقود الجواد من لجامه الى حيث أريد . ليس التردد ، ولا تأنيب الضمير من خلقي ، ان قاعدتي في الحياة هي : اني اريد ، وان آنال ما أريد ، ان الظلم هو … الى … والافراد ليظفروا ويفوزوا »

« … ان الذين يعرفون ان ينالوا ما يرغبون فيه ، هم الذين خلقوا للزعامة » ، « ان طريقي في الحياة تضطرني الى الاعتقاد ان كل من كان عظيما في هاتيك … وان المدنية ترتفع … الاحلام وحدهم … اما العظماء فقد احتوتهم الظلم والقوة واحتكار الضمير »

« خلق الانسان كالارض ، محاطا بضباب من أفكاره ، ان حقيقته مجموعة فيه — … من خلق وبرعات قد ولد … قبل أن … نظام … خلاقاً … من الظلم أصبح متعوداً عليه بالقتل وتأنيب الضمير »

« ولقد امتحنت … يستطيع أن … دون أن يقتل … أن … ذهبت … فقطعت عنق العنزة … ولقد … لا أعرف النفس الانساني »

ويعارض تاجور زعماء الهند ويتهمهم في وطنيتهم فيقول :

« اني أعرف بلادي … ولذلك أرغب في استخدام قوة الاستقواء … وطني وأما زعماؤنا الهنود … الذين يعرفون بالشعب … ويجعلون … يحصرون

فلاذعهم بقلاصيهم لقيم ، ويعيشون معهم لأن الأمة تشقى في هذا الوطن [illegible] تقديس أشخاصهم كأن الوطن قد تمثل فيهم [illegible] كأن الأمة قد تمثلت في وراثة هذا الوطن في ذواتهم المقدسة

« ليس من الوطنية أن ترفع الغاية فوق الناس ولا أن تكون التضحية في سبيل البلاد دون حساب أو تقدير كما أن الزعماء يريدون أن يفرقوا بين الدين والوطن . ولكن الوطنية الصحيحة أن تكون النفس فوق الندوة ، وأن تكون التضحية في سبيل الوطن تضحية شريفة [illegible] متصلة بالانسانية لا يجرف فيها [illegible] أو يقتل فيها ضمير أو يطغى عليه التعصب ، و[illegible] بين الدين والعاطفة والوطن

أن الانسانية هي الوطنية [illegible] مذاهبها ؟

فتاجور ينظر الى الوطنية نظرة تصوف وتفكير وسمو ، ولا أستطيع أن أتهمه كما اتهمه خصومه في وطنه بالتردد وانحراف الرأي عن فكرة الوطن المستقبلة . فلقد هاجت أقواله خصومه في السياسة واتهموه بما لا ينبغي أن يذكر من ضعف واستسلام لخصوم البلاد . ولقد عارض في روايته « البيت والعالم » الآراء السائدة في الوطنية وأعلن رأيه في الوقت الذي ثارت فيه حركة الوطن الهندي ، وبقي هو بمعزل عن هذه الحركة لا يؤيدها ، ان كان يؤمن بالخلق الوطني الذي أثار فكرة الجنود ودفعهم الى الفداء ، ولكنه مع ذلك لا يقر وسائل العنف فيقول على لسان « نيكهل » في روايته

«كل فوز يأتي من طريق الضغط هو فوز عابر يزول بزوال هذا الضغط»

ويعارض الرأي العام الذي يمثله قول الزعيم ساندب

« ان من يريد أن يمتلك يجب عليه أن يشرع ويغتصب ، ولن يكون الفوز إلا على يد زعيم يقود البلاد بانتزاع الخير غصباً لوطنه [illegible] الأبطال [illegible] في سبيله [illegible] أن يدعي الوطن [illegible] أصبغ في سبيله الارض بدماء الضحايا !

ولكن تاجور يقول:

« اني أريد أن أخدم [illegible] اني لا أريد الدم والنار [illegible] أبناء الوطن [illegible] اني لا أريد أن أستعبد الناس وان كانوا قد اعتادوا الاستعباد [illegible] الاستعباد الذي يتعمد باسم الوطنية

وليست فكرة تاجور في الوطنية فكرة أوجدتها الخصومة مع الزعماء ، فهو يأبى الخصومة وينكر العداوة ، ولكنها فكرة نشأت من طبيعة فلسفته الانسانية ، لانه يعتقد ان الانسانية خير من الوطنية ، وان الوطنيات مثار الانانية ، ومبعث الاحقاد والحروب . فالمثل العليا هي التي أملت على تاجور هذا النظر المتسامي فهو يقول

ليس من الوطنية أن [illegible] لأن [illegible] الأمم والشعوب [illegible] من الحرية [illegible] الحقائق [illegible] الأقوياء [illegible] الوطنية [illegible]

الانسان لبلاده إلا من حيث هي حقيقة كائنة مرتبطة بالعالم »

فتاجور عند مايعالج شؤون وطنه يعالجها علاج طبيب متريث يقدر الحقائق ويزن الأدواء بميزان دقيق حساس ، فهو حكيم يرقب عواقب الامور ، لا يندفع وراء الهوس والاعصاب ، وهو يقرر الامور حلوة أو مرة ، لا يمالىء ولا يغرر مرضاة لشهواته أو استهواء لآماله

« ان قوانا الحيوية وهي الآن في طور الاحتضار تحتاج الى مباعث تجدد من نشاطها وتهدي أعصابها فما زلنا ننافس الحقائق ونحفل بالترهات ، تأخذنا الكلمات الضخمة ويسحرنا بليغ الخطب فيجب ان تقاس جدارة الامة في حكم نفسها ببلاغة زعمائها وهياج طوائفها ، ولكن تقاس جدارة الامم في خلقها وضبط أعصابها وسيادتها على أهوائها وشهواتها ».

فالعنصر و الدم والوطن هي مقومات القومية والوطنية التي لا يدعو اليها الفيلسوف تاجور وانما يدعو تاجور الى الوحدة العالمية تلبية لأشرف الغايات التي تدعو اليها فلسفته في الحياة ، وهي الوحدة الروحية ، فهو انساني فهم الجماعة والحياة ونسي نفسه وأنكر أنانيته وحلق فوق الاثرة والمطامع البشرية الملوثة بالشهوات والاغراض ، وهو يحس وطنه قطعة من العالم غير منفصلة ، وهو في تفكيره ومشاعره يحقق دائماً سمو المعاني الجامعة التي تأتلف وطبيعة الاشياء وتمتزج بكيان البشرية كخلية واحدة ، فالقوميات والالوان والعناصر ، كل هذه عوامل هدم في الكيان البشري العام ، ولهذا كانت وطنية تاجور وطنية جامعة تدعو الى الاتصال بالعالم من طريق المحبة وحقوق الانسان وادراك الحقائق ادراكاً صحيحاً

فالوطن في نظر تاجور كلمة معنوية لا تدل على مدلول محدود بحدود الأوضاع والجغرافية[1] والوطن وان كان له تاريخ متصل العروق بالوراثة والدم ، عزيز الذكرى وان جارت الاحداث عليه ، الا ان تاجور يملك أعصابه فيقرر أن فكرة الوطنية فكرة بدائية تدعو الى الانانية والاثرة ، وتحدد أوضاع التفكير البشري ، وتحصر مشاعر الانسان ومثالبه ، وتقهر تطلعه وسموه الى المثل العليا في الحياة ، وتخلق من الانسان خصماً عنيداً لأخيه الانسان ، بل انها تخلق منه عدواً للطبيعة ذاتها اذ يجهد فكره لإذلالها واخضاعها ليسيطر على العلوم سيطرة جبارة ليحارب ويغزو ويستعمر ويدق أعناق البشر

ولكن مهمة الانسان في الحياة يجب ان يكون أسمى ادراكاً لمعاني الحياة من هذه الاوضاع الضيقة المحدودة ، فنشأة الحرية وطبيعة الانسانية تدعو الانسان منذ خلق الى ان يكون أفق حياته واسع المدى غير محدود ، وان تكون حضارته ومدنيته مدنية مشتركة بعيدة

(١) راجع العدد الثالث والعدد ٦ المجلد ٢٠ المقتطف لوحدة الروحية لتاجور

عن الشعور بالفردية الضيقة فكما انه لا يستطيع ان يخلق عناصر وجوده من ذاته ونفسه ولا يمكنه أن يعيش على ما في جسده من مدّخر ، ولا بدّ له من مدد موصول بما حوله ، كذلك لا يمكن لوطن ان يعكف على نفسه فيعيش غير متصل بالعالم ، فهو مفتقر الى عناصر قد حرمته الطبيعة اياها وجادت بها على غيره . ففكرة الوطن فكرة مبتورة عن أوصال الوجود والكيان الحيوي الدائم . وانما فكرة التعاون هي فكرة المدنية المشتركة لتوليد ثقافة عالمية ليس لجنس أو دم أو عصبية أي فضل فيها ؛ فالحضارة لا تعرف الوطن ولا اللغة ولا الجنس ولا اللون ؛ بل هي رسالة الفكر البشري التي ينبغي ان تعم الدنيا وتشمل الوطن الكبير

والتمادي في الوطنية جرم انساني يبيد الأمم ويفني الشعوب ؛ اذ يحتم وضع الحرب ضماناً للسلام الاجتماعي وضرورة لبقاء الحياة ؛ ولئن كان هذا جائزاً يوم كانت الحدود الجغرافية حقيقة واقعة تفصل الامم والقبائل ، وتجعل كلاً يعتز بكيانه وجنسه ، فليس بعد اليوم من سبيل الى اجازة هذه الامراض الاجتماعية بعد ما أصبحت الحدود الطبيعية شيئاً لاغياً ، وبعد أن تقدمت المواصلات ، وقربت المسافات وسادت قوة الكهرباء واللاسلكي واخترقت الطائرة الفضاء . وبعد ان تمّ التمازج العقلي بين الامم ، وأحست كل أمة في ويلات الأمة الأخرى ويلات لها تؤثر في حياتها وكيانها كما يؤثر العضو المريض في بقية الجسد

وتاريخ الانسانية يجب ألاّ يكون تاريخ الحروب والشرور ، وانما يجب ان يكون تاريخ الحضارة والعقل والسلم ، ويجب ألاّ تنفرد به أمة ، فما كانت المدنية لأمة أو لجيل او لجنس او للون أو لوطن واحد

« وتاريخ الانسانية يجب ان تكتبه جميع الشعوب ، وأن يتوحد جميعهم فيه ؛ وهذا لا يمكن التسليم بأن يبيع المرء ضميره في سبيل السياسة والغدر ، وان يجعل وطنه معبوداً ... ان رجال الغرب تواقون في سبيل الحقيقة يصبحون خالدين ؛ وكذلك اذا مات شعب ... هذا السبيل ... في ... (١) »

فتاجور فيلسوف يدعو الى الاتصال بالعالم ، ودعوته الى العالمية ليست دعوة زهد وتقشف ، فهو يرى في الزهد والتقشف اعلاناً بعداوة الانسان للحياة وعدم ادراك حقائقها ولهذا اراد ان يجوب العالم ، فجابه غير مرة ، وجعل منه بيتاً متصل الارجاء ، وطاف عالك الارض ، وقابل الملوك والقواد ، وأعلن فلسفته على انها صورة صادقة من تفكير الشرق واحساسه ، ثم عاد الى بلاده وفي نفسه حسرة باكية على المدنية الغربية ، مدنية الانانية والأثرة ، مدنية الفتك واذلال الانسانية بالغدر واهدار كرامة الروح ، مدنية الجشع

(١) انبعث العالم لتاجور

والجوع ، مدنية الذهب والفقر، هذه هي المدنية القائمة على العصبيات والقوميات انها المدنية التي لا تزال ترقص فوق البراكين !

ولقد أنذر تاجور قادة الغرب يوم حاضرهم [٢]

« ان مدنيتكم يجب ان تسودها روح المحبة العامة ، وأن تزول منها الاثرة والانانية ، والتعصب للوطن والجنس واللون ، والا فسيتدفع شبابكم وراء آرائه وعقائده مهلكة مدمرة وستتوالى عليكم الدمار والحروب والدمار » . « ان مهمة هذا الجيل يجب ان يكون في محو الاثرة من النفوس ، رغبة الناس ان تجاهد في سبيل تغليب الخير في مطالب الحياة وغرائزها وان تمحي فوارق الوطن والجنس واللون وان تسود العالم الوحدة الروحية الجامعة »

تاجور في مصر

ومن الوفاء لتاجور أن أسجل الذكريات التي تركتها زيارته لمصر، فلقد وصل الى القاهرة ظهر يوم الاثنين ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٢٦ بعد ان مكث بالاسكندرية يومين وكان المغفور له أحمد شوقي بك قد كرّمه في حفل جامع دعا اليه المغفور له سعد زغلول باشا وجماعة من اعضاء البرلمان والوزراء ، ولقد لبى الجميع الدعوة احتفاء بالشاعر الكبير وترتب على حضورهم تأجيل انعقاد جلسة مجلس النواب ، وتألفت لجنة برآسة وزير المعارف العمومية سعادة علي باشا الشمسي لتكريمه في حفل بفندق شبرد ضم الزعماء ورجال العلم والأدب والتعليم من مصريين وأجانب ، واقيمت له حفلة بمسرح حديقة الازبكية في مساء ذلك اليوم ، وقدمهُ سعادة لطفي باشا السيد مدير الجامعة للحاضرين وتكلم فيها تاجور كلمات جامعة في الشعر والفلسفة والحياة [٢]

وتشرف تاجور بمقابلة جلالة المغفور له الملك فؤاد ، وقد أثرت هذه الزيارة في نفس تاجور حتى انهُ اشار اليها بقوله

« لقد لقيت في مصر ملكاً عظيماً ذا شخصية محبة للعلم والعلماء »

ولقد أكرم جلالة الملك وفادة الشاعر فأهدى اليه مؤلفاته بعد توقيعها بالامضاء الملكي الكريم فعد تاجور هذا تكريماً لتآليفه واكباراً لدعوته، وطلب يومئذ من جلالته أن تكون هدية مصر الى الهند التآليف والكتب المصرية التي أنتجتها الثقافة الحديثة في مصر تعزيزاً للصلات الروحية بين البلدين

***

ولقد كان شعور المصريين لقاء زيارة تاجور لبلادهم شعور عطف ومحبة واحترام ، واشتركت في تقديره العاطفة الشرقية التي يشعر بها كل شرقي مثقف ، ولقد رحبت به الصحافة

(١) محاضرات تاجور في امريكا

(٢) راجع خطاب تاجور العدد الثاني ص ١٧٢ ج ٢ ١٩٢٦ المقتطف المصري

المصرية واستقلالها مجموعةً للوحدة الشرقية التي تنشدها شعوب الشرق وتعمل لها من النواحي الاجتماعية والسياسية ، ورأت في تاجور رسولاً كريماً جاء ليبعث الصلات المعنوية التي تربط امم الشرق بعضها ببعض ؛ ولئن كانت دعوة هذا الحكيم دافعة كل الشعوب الى احترامه والاقرار بفضله ، فليس شك في ان شرقيته كانت ذات أثر عظيم في شعور العطف والمحبة اللذين خفقت بهما أفئدة المصريين فان هذا الفارق الذي أقامته الامم الاوربية بين الشرق والغرب وهذه الصلات التي توطدها فيما بينها وهذه الجبهة المتحدة التي ما يفتأ ساستها ينادون بضرورتها للوقوف في وجه الشرق ومطالبه وإنشاء تكاتف يستندون اليها للتوسع وجهة النظر الاستعمارية — جميع هذه الاسباب جعلت من الشرق وحدة تسعى الى نوع من الاتصال ولئن كان هذا الاتصال السياسي غير محقق من الناحية الدولية لاسباب شتى الا ان الشرق سيطالب به كحق طبيعي كما سادت الديمقراطية نظم الحكم ، وعندما تتحقق فكرة المدنية الشرقية في وجوب المساواة بين الشعوب جميعاً — على ان الاتصال المعنوي ممكن وأدواته ميسَّرة ، فان الروح الدينية التي ظهرت اول ما ظهرت في الشرق متشابهة بين الاديان المختلفة . وكلها ترمي الى مدى واحد وغاية واحدة ، وتصوُّر الحياة وما بعد الحياة متشابه في غير الناحية الدينية ، وفكرة الشرق وجلال المعاني الروحية التي توحيه باعتباره مهبط العقائد والاديان ومثوى الانبياء والرسل والحكماء ، كل هذا يشترك في ربط قلوب الشرقيين ربطاً معنويّاً يشعرنا بتقارب الاحساس والعطف والتفكير ، بل كل هذا يؤكد تحقق توارد العقائد والمشاعر المتصلة بالعبادات في الشرق

وتاجور يدعو الى هذه الدعوة ولكنه يلمسها من الضمير الشرقي الساكن في وجدان جميع الشعوب الشرقية ، فهو يجاهد لبعث الروح المعنوي في الشرق ولتقوية الحياة السامية التي تدعو اليها العقائد ، على انها مصدر الاتحاد والالفة والخير . وعلى انها مبعث التفكير والايمان بسمو الروح وتغلب الضمير الانساني على جميع مرافق الحياة العملية

* * *

ولقيت تاجور في غرفته بفندق شبرد عند زيارته مصر سنة ١٩٢٦ ، بعد أن طاف عالك أوربا وسألته عما سيتوقف نظره في اوربا فقال

[illegible]

ولقد أثرت في نفسي هذه الزيارة بالغ التأثير ، دخلتُ عليه وهو في ركن من الغرفة ، يشع فيها نور بنفسجي هادىء ، وتاجور جالس في كرسي مريح في ثوب داكن فضفاض ، عاري الرأس الا من شعر فضي منسدل يكاد يصل الى كتفيه ، ولحيته طويلة بيضاء أكسبته جلالاً

وجلالاً ، وقد انبعثت من عيني الشاعر الكبيرتين نظرات تنقب الغيب وترقب الالهام، نظرات هادئة أفضت على المكان قدسية وشعراً ورهبة اشعرتني بأنني أمام قديس روحي، يبشر بما يدعو اليه الشرق الجليل من تعاليم ووحدة روحية واتصال دائم بحقيقة الحياة ، فوقفت صامتاً حتى دعاني الى الجلوس ، فجلست بعد أن لمست أنامل ندية ، كنت أمني النفس بلثمها طويلاً ، وتجلت في النفس فكرة الروحية تنبعث من كيانه المادي، ولكن تاجور أنالني بما أخرجني من شرود تفكيري ، فسمعت صوتاً حلواً يفيض عذوبة وحناناً :

« أأنت مسلم ... قلت نعم ... قال أي سلك من يقرأ الادب الهندي في مصر . قلت اني أقرأ شعرك ومقبل عليه منذ ستين : منذ تفتحت امامي مباهج الحياة ، وكتبت في أدبك في مجلة الهلال سنة ١٩٢٣ . فقال وماذا قرأت لي : قلت شيترا والبستاني وقطف الثمار وجيتانجالي فقال : وهل قرأت « سهدهانا » فقلت نعم يا مولاي قرأته وترجمت أكثره الى العربية ، هذا كتابك وفلسفتك وفيه من رسالتك وهنا رفع تاجور بصره إلي ، فاذا عينان واسعتان ينبع منهما هدوء روحي وجمال قدسي لم أقو على احتمال النظر اليهما إذ ألقتا على وجهه الجليل هالة من نور ، فلمحت في صدره عقداً من الزهر الأبيض يدل كأنه اللؤلؤ المنظوم ، ثم سمعته يقول في نبرات موسيقية هادئة كمن يتحدث الى نفسه : اني مسرور برؤيتك ويلوح لي انك في مقتبل الشباب ، ومهتم بما يتصل بأدبي وفلسفتي من آراء ، فان كنت حقاً ظاهرة لشباب هذا الجيل في الشرق وفي بلدكم ، ملتقى الثقافتين ، فاني مطمئن الى تغليب روح الشرق وفلسفته في صميمكم معشر الشباب ... وأما شباب الغرب فيهولني أن أراه مندفعاً بأعصاب ثائرة الى مهاوي الانانية والآلية ، واني مشفق على المدنية الاوروبية أن تنهار »

والتقى بتاجور غير واحد من المفكرين والادباء وقادة الرأي ، ولقد لقيه فضيلة الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا مع رفيقه الدكتور طه حسين بك ، ولقد تحدثا اليه حديثاً اجتماعياً ، ووصفا تاجور وصفاً رائعاً بديعاً فقالا : « لتاجور سمت النفس الهادئة ويزيده الهرم هدوءاً فهو يتحرك في رفق اذا تحرك ، وينظر في رفق اذا نظر ، ويتحدث حين يتحدث في رفق أيضاً ، وقد أثرت الشيخوخة في ذلك الهيكل الانساني كله : فبدلته من جمال الشباب جمال الهرم وجلاله ، غير عينين بقي لهما كل ما في الشباب اليانع من قوة وجمال ، في عذوبة ورحمة ، فما أدري من أن يكونا من أثر الشباب أو من أثر الهرم

عينان سوداوان في صفاء ونور ، لم يخلقهما ترديد النظر في هذا العالم المادي الذي تختطف فتنته صفاء العيون ونورها ، كثيراً ما يطبقهما متحدثاً ومستمعاً ، حتى اذا رفع الى شيء بصره لم يرسله طويلاً ولا عميقاً وانما هي لمحة كوميض الالهام

ليس الذي تلاحظه في حضرة تاجور هو شعور الهيبة للعظمة الانسانية ، ولا شعور الخضوع لسلطان الفكر العلوي العميق ، ولا هو الاعجاب بروعة شعرية بارعة حفت بأعظم الشعراء ، ووددت ... الآفاق ... التي تلاحظها في حضرة تاجور هي تجلي فكرته الروحية في كل شيء من كيانه المادي ، كأنك تشهد روحاً ... حتى ... من غير ... ومن غير تحكم ... التي ... الشعر الفيلسوف ... الى الحب والسلام والرق ليس لتاجور ... ولا ... يكون له الانقسام ... ولا ... تاجور من شيء ...

وقد يكون العبوس من حرج في الصدر وتشاؤم ، وتاجور لا يضيق صدره بشيء في هذه الدنيا ، فان له من وراء كل ضيق سعة في العالم الروحي ، عالم الحقيقة والطمأنينة والرضاء ، ذلك العالم الذي يريد تاجور أن يأخذ بيد مريديه الغربيين الى ما يهديه اليه .

وأما حديث الشيخين الكبيرين مع تاجور ، فقد كان حديثاً عذباً جامعاً : قال أحدهما وهو يحدثنا :

« ان مما يؤسف له ان زيارة الشاعر الحكيم لمصر قصيرة لا تسمح له بأن يزور جامعتنا المصرية الناشئة وجامعتنا الازهرية العتيقة ويتحدث الى رجال هاتين الجامعتين . قال تاجور « كم كنت أحب ذلك وأرغب فيه ، بعد ما لاحظته من ان في مصر ثقافة ثانية جعلت شعب الاسلامي بمعزل عما يظهر عند الشعوب الاسلامية الهندية من الاسراف في الاستمساك بالقديم والاستعداء على حركة التجديد ، وما يستتبع ذلك من الآثار على انه من النافع جداً ان تقوى الصلات بين مصر وبين الهند . فقد يكون في ذلك ما يعين على حل بعض المشكلات القائمة بين مسلمي الهند وغيرهم من الهندوس والواقع ان هذه المشكلات ثقيلة منغصة لحياة أهل الهند جميعاً ، ولقد رأيت ملك مصر اليوم ، ورأيت اليه ان يتفضل فيمنح جامعتنا هدية اعتقد أن سيكون لها في حل هذه المشكلة أثر عظيم . وهذه الهدية هي ما نشر في مصر وفي اوروبا من الكتب العربية في الادب والتاريخ وما اليهما ، فلو ان الهندوس استطاعوا ان ينظروا في هذه الكتب العربية ويفهموا منها الروح العربي الاسلامي فهماً حسناً ، لأعانهم ذلك من غير شك على فهم عقلية اخوانهم من مسلمي الهند . وقد تفضل جلالة الملك فأظهر تقديره لهذه الفكرة ووعد بأن يمنحنا هذه الهدية »

وسأل احد الشيخين تاجور : « وما رأيك في الاسباب التي جعلت مسلمي الهند حراصاً على القديم مستعصين على حركة التجديد أهي أسباب اجتماعية أم دينية أم هي غير هذه وتلك ؟

قال تاجور : هي فيما أظن اسباب متصلة بالتربية التي يتلقاها مسلمو الهند والتي تخضع خضوعاً شديداً جداً لتأثير شيوخهم من رجال الدين « ملا » فقد وصل هؤلاء الشيوخ مع مرور الزمن وما لهم على النفوس من سلطان الى اقناع الهندي المسلم بأنه يستطيع ان يجد في نفسه وفي كتبه وتقاليده كل ما يحتاج اليه دون ان ينظر الى غيره في امر من الامور ، واذا اقتنع الانسان هذا الاقتناع فليس من اليسير ان يعترف لغيره بفضل أو ان يشعر بالحاجة الى غيره ، على ان مسلمي الهند قد بدأوا يتطورون من هذه الناحية تطوراً مهما يكن بطيئاً شاقاً فهو واقع ولا بد من انه سيؤدي الى نتائجه الطبيعية »

وسأل احد الشيخين الكريمين : « ألم تفكر في توحيد ما بين المسلمين وغيرهم من اهل الهند من الناحية الدينية ، بأن يتحد مذهب اولئك وهؤلاء في الدين مثلاً ؟

فأجاب الشاعر الحكيم في قوة وشدة : كلا ! وما فكرت في ذلك وما ينبغي ان يفكر فيه أحد فذلك في ذاته غير ميسور ، وهو إن تحقق يضر أكثر مما ينفع ولا يعود على الانسانية الا بالخسارة الشديدة » . ثم خاطب الشيخين بقوله : « أنتما تعلمان ان الدين انما هو لون من من ألوان التعبير الانساني عن العواطف والميول والمثل العليا ، وان هذا اللون من ألوان التعبير يتصل أشد الاتصال بأمزجة الافراد والامم ، تمثل لها تمثيلاً صادقاً قوياً ، فمن الثروة

للانسانية ان تحتفظ بهذه الالوان المختلفة التي عبرت بها الامم والشعوب عن عواطفها وميولها وطموحها الى الحق الذي لاحد له . ومن يحاول محو دين من هذه الاديان انما يبدد بنوع ما شيئاً من هذه الثروة القيمة التي يجب ان تحرص عليها الانسانية . انك لا تستطيع أن تستغني بدين عن دين لان كلّ دين انما تلك مظهر قوي لمزاج الامة التي تدين به ؛ وهو طريق من الطرق التي تسلكها الانسانية الى الجهاد والحق والمثل الأعلا . فكر في المسيحية تجدها ديانة انسانية بمعنى انها تلتمس الحقيقة المطلقة من الطريق الانسانية الصرفة وفكر في ديننا نحن أهل الهند تجده ديناً كونياً ، بمعنى انهُ يلتمس الحقيقة المطلقة من طريق الكون السماوي وما فيه من العجائب والآيات ، يجب ان تحتفظ كل أمة بدينها بل يجب فوق ذلك ان تحتفظ الانسانية بدياناتها جميعاً »

ولكن أحد الشيخين استدرج فقال : « ولكنك أيها الحكيم ترى من غير شك ان الانسانية في حاجة الى ان يتحد مثلها الاعلى ، واذا لم تستطع الديانات ان تمثل هذا المثل الاعلى ، المشترك فما السبيل اليه ؟ » فقال تاجور : « ان المثل الاعلى للانسانية يجب ان يكون واحداً ، ويجب ان يكون مشتركاً ، وهو هذه الحقيقة المطلقة التي لا حد لها ولا سبيل الى استيعابها ، ولن يؤثر اختلاف الديانات في هذا المثل الاعلى من حيث هو واحد مشترك تتعاون الانسانية كلها على طلبه والسعي اليه ذلك ان هذا المثل سيظل واحداً وان اختلفت الطرق اليه ؛ وما الديانات المختلفة الا طرق متباينة ، ولكنها متحدة الغاية تنتهي كلها الى هذا المثل الاعلى الواحد المشترك ؛ ولقد رأيتما ان الحقيقة المطلقة التي هي مثلنا الاعلى لاحد لها ولا سبيل الى استيعابها ، واذن فالمسيحية تنتهي بأهلها الى ناحية من انحاء هذه الحقيقة وديانتنا الهندية تنتهي الى نفس هذه الحقيقة ، وهكذا باقي الديانات . وما دامت الديانات كلها سبيلاً الى هذه الحقيقة المطلقة وما دامت في الوقت نفسه متصلة أشد الاتصال بأمزجة الافراد والجماعات وتمثلها أقوى تمثيل وأصدقه ، فلا خير مطلقاً في محاولة محو بعضها أو اضعافه أو تقوية بعضها دون بعض وانما الخير كل الخير أن تترك للافراد والامم الحرية الدينية التي تمكنها من ان تمثل شعورها وعواطفها وطموحها الى المثل الاعلى كما تريد وكما تستطيع . ذلك يغني الانسانية ويضاعف من ثروتها المعنوية »[1] . هذه هي رسالة الشرق الكريم أداها شاعره وفيلسوفه أحسن الاداء

ربّ انه البشر جميعاً
تنزهت عن كل لون وجنس
ونهيمنا على جميع الامم وان اختلفت أنواعها
وحد بين قلوبنا [illegible] والمحبة [illegible]
[illegible] روح الحق والعدل

(١) السياسة الاسبوعية ع ١٣٦ م